

الموازنات الشعرية في النقد اللغوي عند "الأمدي" (ت370هـ)

Poetic Balances in Linguistic Criticism at Al-Amdi

د. عبد الكريم محمودي

جامعة الجزائر 2.

الإيميل: mahmoudi.abdelkrim80@gmail.com

تاريخ النشر: 2019/12/30

تاريخ القبول: 2019-09-13

تاريخ الاستلام: 2019/08/14

ملخص:

لعلّ ما يربط بين اللفظ و المعنى هو الإبداع الأدبي، فالمعنى هو غرضه واللفظ وسيلته، هذا اللفظ قد يكون كسوة وزينة للنص الأدبي و قد يكون مرآة نرى بها إحساس المبدع، هذا الإبداع عاجله بعض النقاد و طوروه عن طريق الموازنات مع غيره ودور البلاغة في تحسين الألفاظ وتداول المعاني، والعيوب التي تنتج عن المعنى وعلاقته بالنسيج الشعري والتكرار والمحاكاة. يعالج هذا البحث تحليل الأمدي حول الموازنات الأدبية .

كلمات مفتاحية:

الأمدي. الم ؛ الأمدي. الموازنة. الشعر. الأدب. النقد.

Abstract: Perhaps the link between the word and meaning is literary creativity, the meaning is the purpose and the language and its tone, this word may be a cover and decoration of the literary text

and may be a mirror we see the sense of the creator, this creativity was addressed by some critics and developed through budgets with others and the role of rhetoric in improving Words and meanings, and the defects that result from the meaning and its relationship to poetry and repetition and simulation. This research deals with the Almadi analysis of literary budgets.

Keywords:

Amedi. Budgeting. Poetry. literature. Cash. the old

Résumé:

Peut-être que ce qui relie le mot et le sens est la créativité littéraire, le sens est son but et la prononciation signifie, ce mot peut être un vêtement et une décoration du texte littéraire et peut être un miroir nous voyons le sens du créateur, cette créativité adressée par certains critiques et développée à travers des équilibres avec d'autres et le rôle de rhétorique dans l'amélioration Mots et circulation des significations et des défauts résultant du sens et de ses relations avec la texture poétique, la répétition et la simulation. Cet article traite de l'analyse d'Amadei sur les budgets littéraires.

Mots-clés:

Amadi. La douleur; À long terme. Budget. Cheveux. Littérature. La critique.

تمهيد:

لعل ما يربط بين اللفظ والمعنى هو الإبداع الأدبي، فالمعنى هو غرضه واللفظ وسيلته، هذا اللفظ قد يكون كسوة وزينة للنص الأدبي وقد يكون مرآة نرى بها إحساس المبدع، هذا الإبداع عالجه بعض النقاد وطوروه عن طريق الموازنات مع غيره ودور البلاغة في تحسين الألفاظ وتداول المعاني، والعيوب التي تنتج عن المعنى وعلاقته بالنسيج الشعري والتكرار والمحاكاة. يعالج هذا البحث تحليل الأمدي حول الموازنات الأدبية.

وقد ظهرت الموازنة في النقد الأدبي منذ عصور طويلة، فهي تعتبر وسيلة من وسائل النقد الأدبي استخدمت في العصر الجاهلي في سوق عكاظ أيام النابغة الذبياني، ومع مرور الزمن تطورت إلى أن ظهر كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحري للأمدي وهو كتاب عالج بعض المحاور منها سرقات أبي تمام وأخطائه في اللفظ والمعنى والمفاضلة في شعره وكذلك سرقات البحري من الشعراء عامة ومن أبي تمام خاصة، وأيضاً أخطاء البحري في المعاني والموازنة بشكل عام بين الشاعرين في قضايا مهمة تدور حول اللفظ والمعنى والعلاقة بينهما فيما يخص النقد الأدبي والبلاغة العربية، لأنّ الموازنة بقيت "تساير النقد الأدبي على مر العصور وإن كانت لا تُعد مرتكزاً نقدياً ولا معياراً يقاس به الشعر فإنها من وسائله النقدية والتاريخية فإن صح ما رُوي عن قصة أم جندب وموازنتها بين شعر امرئ القيس وعلقمة في وصف الفرس ومن أن النابغة الذبياني كان الحكم الأدبي بين شعراء عكاظ دلّنا ذلك على أنّ الموازنة كانت أساساً للمفاضلة منذ الجاهلية." (1)

يتبين من هذا أن الموازنة لها امتدادات طويلة بين الشعراء في الأسواق الأدبية كما أنّها استمدت على هذه الحال في العصر الأموي، لأنّه "كان زاهراً بالموازنة بين الفحول والغزليين والسياسيين من الشعراء وبين الخطباء والأدباء جميعاً." (2) فكانت في هذا العصر كلما ظهرت فحولة في الشعر العربي والبلاغة العربية تبعتهما الموازنة والمفاضلة بين مختلف الشعراء، ولا ترتكز هذه الموازنة على جانب خاص بل عدة جوانب متعددة من القصيدة العربية، أمّا " في

العصر العباسي فقد بدأ هذا الفن النقدي بين بشار ومروان بن أبي حفصة وبين مسلم بن الوليد وأبي العتاهية، وأبي نواس ثمّ بين أبي تمام والبحري." (3) وتتمثل أهمية كتاب الموازنة في "تصور الأمدي للصراع العنيف الذي احتدم بين أشياخ القديم وأنصار الجديد ردحاً طويلاً من الزمان، ممثلاً في الخصومة بين أنصار البحري وأبي تمام وقد بلغت هذه الخصومة أقصاها في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع." (4) فالخصومات بين الشعراء كانت دافعا لظهور الموازنات والمفاضلة بين الشعراء بالاعتماد على معايير منهجية في نقد الشعر.

1 - منهج الأمدي في الموازنة :

لقد رسم الأمدي خطة في الكتاب حيث بدأ بذكر محاسن الشاعرين المدروسين ثم ختم بمساوئهما كما يلي :

1.1 يبدأ الأمدي بتحقيق النصوص الشعرية لكل من "أبي تمام و البحتري وتصحيح نسبتها وبيان ما فيها من اضطراب أو خطأ في الأوزان وذلك بالرجوع إلى النسخ القديمة وهذه هي المرحلة الأولى في النقد المنهجي السليم." (5) فالتحقيق شرط أساسي في فهم النصوص الشعرية لأي شاعر، وحتى يتحقق الناقد من هذا الشعر ويخرجه من دائرة الانتحال وما يطرأ عليه من تغيرات نتيجة النقل والرواية ثم بعد ذلك يتفحصه وينقده من ناحية الوزن، هذا بإسقاطه على ميزان العروض ومقارنته مع النسخ القديمة الأصلية.

وهذه النظرة جعلت النقاد الذين جاؤوا بعده يأخذون هذه كخطوة أساسية للنقد المنهجي السليم من الأخطاء والعيوب والفائدة من التحقيق في التراث العربي للإفادة من "علوم أسلافنا القدامى وآدابهم ومعارفهم ومعرفة أحوالهم، وتاريخهم وعاداتهم، وتقاليدهم إنّه ربط حاضر الأمة العربية بماضيها، وكشف ما في تراثها من دُرر ولآلئ وغنى." (6) فالأدب المعاصر يعتمد على الماضي ويُطوره لينتج أدب المستقبل.

2.1 المفاضلة بين الشعر قديمة في تاريخ الأدب العربي قد تؤدي أحيانا إلى الخصومة بين الشعراء، ففي البداية كانت تقوم على أسس غير علمية، أي تقوم على النقد الانطباعي والسطحية لكنها كانت عبئا على الناقد لصعوبتها، فنجد الأمدي يعرض لآراء النقاد "في الشاعرين من المتعصبين لهذا وذلك وحجج كل فريق في تفضيل صاحبه، وقد وجد أن بعض النقاد يجعلهما طبقة واحدة، أو يسوي بينهما وبعضهم يرى أن شعر أبي تمام لا يتعلق بجيده مثله، ورديئه مرذول ومطروح فهو مختلف ليس في مستوى واحد، وأنّ شعر البحتري مستوي يشبه بعضه بعضا في صحة السبك وحسن الديباجة، وليس فيه ردئ ولا مطروح." (7)

فهو يوازن ويحلل آراء النقاد في الشاعرين من حيث الجودة والرداءة والسبك وحسن المطلع بحيث يكون مطابقاً ومناسباً للموقف، فمثلاً لا يجوز للشاعر أن يبدأ قصيدة في المدح بمعاني وألفاظ لا تناسب هذا الموقف، مثل توظيف عبارات الرثاء أو الحزن، وبعضهم يفضل البحتري "لصحة عباراته ووضوح معانيه، وحسن تخلصه ووضعه الكلام، وهم الكتاب الشعراء والمطبوعون وأهل البلاغة، وبعضهم يفضل أبا تمام لدقة معانيه وغموضها وهؤلاء هم أصحاب المعاني وشعراء الصنعة وأهل الفلسفة والكلام وأنصار أبي تمام يفضلونه لأنّه أسبق زمناً والبحتري تلا وأخذ عنه ولأنّ جيده خير من جيّد البحتري." (8) فعندما تتوفر هذه الصفات في الشعر يتميز عن غيره من الأشعار بالجودة والبلاغة.

3.1 ثم يتناول السرقات فيجمع سرقات أبي تمام و"يردها إلى أصولها ويقف في كثيراً منها إلى جانبه مبيناً خطأ من اتهمه فيها بالسرقة كابن أبي طاهر لأنها من المعاني العامة المشتركة بين الناس وبعد أن يفرغ من ذلك يأخذ في بيان سرقات البحتري على هذا النحو ثم ينتقل إلى دراسة أخطاء أبي تمام وهي: أخطاء في الألفاظ والمعاني، إسراف وقبح في البديع، كثرة الزحافات واضطراب بعض الأوزان، ثم تناول أخطاء البحتري، وأخيراً يعرض بإنصاف إلى محاسن كل منهما." (9)

فموضوع السرقات نال حظاً كبيراً في الدراسة والتحليل و الآمدي واحداً منهم حيث درست بعناية وحدد مفهوم السرقات ،وكيف نجتنيها ومن بينهم (ابن عبد ربه) فيما بعد يعلم ابنه صناعة الشعر قائلاً: "إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه غيرك فأحسن تركيبه وأرق حاشيته فاضرب عنه جملة ، وإن لم يكن بُد ففي غير العروض التي تقدّم إليها ذلك المحسن لتدشّط طبيعتك وتقوى منتك" ⁽¹⁰⁾ أي هنا يُبين أهمية التركيب والنسج للألفاظ الدالة على المعاني المتداولة عند الناس.

4.1 تتم عملية الموازنة بين معاني وألفاظ النصين، حيث يأخذ في (الموازنة) بين الشاعرين وهي: "موازنة موضوعية يتناول فيها الجزئيات ،معنى معنى ،ولفظاً لفظاً ولا يرضى بالحكم العام ولا بالنظرة الكلية في الموازنة بين الشاعرين بل يوازن بين القصيدتين ،أو بين المعاني الجزئية المنثورة في أبيات القصيدة" ⁽¹¹⁾ فكانت موازنته دقيقة ومركزة في المعاني والألفاظ مدعومة بالنظرة الموضوعية في كل أبيات القصيدة .

2 . أهم القضايا النقدية في كتاب الموازنة :

عالج الآمدي في الموازنة عدة قضايا نقدية بالتحليل والنقد ساهمت في إثراء الدرس النقدي القديم من بينها:

2. 1 . الذوق ومقاييسه:

يقول الآمدي في كتابه الموازنة: "وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التآتي وقرب المأخذ ،واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ في مواضعها ،وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله ،وأن تكون الاستعارات و التّمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه ،فإنّ الكلام لا يكتسي البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف وتلك طريقة البحري" ⁽¹²⁾ ،يقصد بحسن التآتي هو الشعر الذي يفهمه المتلقي دون تعب وعناء، أي أنه خال من التعقيد اللفظي والركاكة في الأسلوب وقرب المأخذ لمعناه ولا يحتوي على ألفاظ غريبة غير متداولة في واختيار الكلام يعني أن الشاعر لا يضع اللفظة موضعها إلا إذا كانت تستحق ،فينظر إلى جارتها بحيث لا يحدث هناك تنافر بين اللفظة وجارتها حتى تتحقق البلاغة العربية ويبتعد الشاعر عن ضعف التأليف.

فالكلام لا يوصف بالبهاء والرونق إلا إذا تحققت فيه هذه العلامات أو السيميائيات في النص يقول الآمدي: " أنا أجمع لك معاني هذا الباب في كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم بالشعر، زعموا أنّ صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء،هي:جودة الآلة ،وإصابة الغرض المقصود وصحة التأليف والانتهاى إلى نهاية الصنعة من غير نقص منها ولا زيادة عليها." ⁽¹³⁾ فجودة الشعر عند الآمدي هي حسن التأليف وإصابة الغرض والمعنى والمناسبة بينهما والإبداع فيهما وضعف التأليف نقصد به أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو المعتمدة عند جمهور العلماء كوصل الضميرين وتقديم غير الأعرف منهما على الأعرف. ⁽¹⁴⁾ هذا الضعف ينتج عنه خلا في المعنى غير مرغوب.

والإصابة في الوصف حسب رؤية الأمدي هو "أن يلتزم طريقة العرب الأوائل في وصف الأشياء وإبرازها بدقائقها فديدن القدماء وصف كل شيء تقع عليه أعينهم وصفاً دقيقاً ، ولهم في ذلك معاني وطرائق لم يخرجوا عليها".⁽¹⁵⁾ ومن مقاييسه الذوقية مشاكلة اللفظ للمعنى واقتضائهما حتى لا تكون هناك منافرة بينهما .

2.2 . العمودية أو عمود الشعر:

نقصد بمصطلح عمود الشعر هي طريقة العرب في كتابة الأشعار ومنه ما يرجع إلى اللفظ كالاستقامة والجزالة أو إلى المعنى كالإصابة في الوصف وحسن النظم فالأمدي يطبق في النقد نظرية عمود الشعر العربي "تطبيقاً كاملاً فالبحتري عنده هو الشاعر لأنه يحرص على كل القيم الرفيعة التي شرعها وحرص عليها الشعراء القدماء من امرئ القيس إلى ابن هرمة وبشار في اللفظ والمعنى والأسلوب والخيال ، وفي اللغة والوزن والصورة الشعرية وغير ذلك لا يخرج عليها ولا يبعد عنها مع صحة الطبع وجودة السبك وقوة الملكة".⁽¹⁶⁾

يتبين من هذا أنّ نظرية عمود الشعر عند الأمدي تشمل كل من استقامة اللفظ وصحة المعنى فهو من مقومات صناعة الشعر وبإضافة جمال الأسلوب والخيال ، حيث يقول: "لأنّ البحتري أعراي الشعر مطبوعاً ، على مذهب الأوائل وما فارق عمود الشعر المعروف وكان يتجنب التعقيد ، ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام ، فهو بأن يقاس بأشجع السلمي ومنصور وأبي يعقوب المكفوف وأمثالهم من المطبوعين أولي لأنّ أبا تمام شديد التكلف صاحب صنعة ومستكره الألفاظ والمعاني وشعره لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة".⁽¹⁷⁾

يتضح من قول الأمدي أنّ الشاعر البحتري هو من وافق الشعر العمودي العربي الذي يتميز بالبعد عن التعقيد اللفظي ، ونقصد به تجنب الشاعر الألفاظ والعبارات الوعرة أو قليلة الاستعمال بين أفراد المجتمع الواحد أو توظيف ألفاظ حروفها لها مخارج متقاربة ، وهذا التعقيد يعتبر من عيوب البلاغة العربية لأنّ الأصل في الكلام الوضوح والسلاسة وإيصال المعنى للمتلقى بدون تعب للمرسل أو المرسل إليه لكن شعر البحتري كما يقول الأمدي يكاد من الألفاظ المستكرهه وهي الألفاظ غير محمودة السمع عند العرب وكذلك يبتعد في تعبيره عن الألفاظ الوحشية فعده الأمدي من المطبوعين وأخرجه من دائرة التصنع.

يرى الأمدي بأنّ أبا تمام شديد التكلف أي عكس البحتري ، وأنّه يوظف الألفاظ والمعاني المستكرهه ولا يحسن مناسبة المستعار منه للمستعار له لأنّ الاستعارة "موجودة في كل لغة وهي وسيلة للتعبير عن الفكرة المعقدة لا عن طريق التحليل ، أو عن طريق الإخبار المباشر ، ولكن عن طريق اللّمع السّريع لوجه الشبه بين الأشياء المتفرقة ، ومن هنا تتباين عبقرية الشعراء في اتساع الأفق والرؤية الكاشفة واللّمع السّريع لأوجه الشبه والصّلات بين الأشياء لذلك كان أرسطو(ت322 ق م) يرى أنّ الاستعارة سمّة العبقرية".⁽¹⁸⁾

فوظيفة الاستعارة في التعبير هي تبسيط الأفكار المعقدة إلى أفكار بسيطة وسهلة وواضحة ومقرّبة إلى ذهن المتلقي، هذا باستخدام التلميح والإشارة وجعل الصورة المعنوية في قالب محسوس وتختلف درجة حسن توظيف الاستعارة بالنسبة للشعراء باختلاف مهاراتهم وقوتهم في نظم الشعر، لذلك عدّ أرسطو أنّ الاستعارة هي علامة العبقرية والنبوغ في الشعر وفي هذا الصدد يقول الأمدي: "فإن كنت - أدام الله سلامتك - ممن يُفضّل سهل الكلام وقريبه، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء و الرّونق فالبحتري أشعر عندك ضرورة وإن كنت تميل إلى الصنعة، والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة، ولا تلوى على غير ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة".⁽¹⁹⁾

يتضح من هذا القول أن الأمدي يجعل البحتري أقرب إلى نظرية الشعر العمودية التي تتميز بسهولة الكلام وصحة السبك وحلو اللفظ وكثرة الماء، وهي متوفرة في شعر البحتري، في حين تغيب هذه الميزات في شعر أبي تمام الذي يمتاز بالتكلف والغموض في المعنى أي أن المتلقي لشعر أبي تمام يجب عليه أن يغوص في أعماق النص الشعري حتى يفهم مقصوده.

3.2- الصورة الأدبية:

يقصد الأمدي بالصورة الأدبية الألفاظ و العبارة التي تحمل معنى و معالم هذه الصورة كانت واضحة عند الأمدي" من خلال اهتمامه باللفظ والمعنى أي (النظم) و الصورة التي تقوم عليهما معا، ولكنه يكاد يبلغ الغاية في توضيح الصورة التي فل بها البحتري أستاذة أبا تمام وهو يتحدث في باب العلاقة بين اللفظ والمعنى، فقد فسر التأليف وهو النظم في الصورة حينما عقد موازنة بين صناعة الشعر و بين غيرهما من الأشياء في سائر الصناعات الأخرى".⁽²⁰⁾

يتبين من كلام الأمدي أنه لم يفرق بين الصورة و النظم أي كلاهما يعني عنده ضم الألفاظ والعبارات مع بعضها من أجل خدمة معنى مقصود مع مراعاة ضوابط النحو العربي، وبلوغ الغاية من هذا النظم أو إصابة الغرض، غير أن نظرية النظم في البلاغة العربية أخذت حظا وافرا بالدراسة والتحليل عند عبد القاهر الجرجاني حتى نُسبت إليه، وأصبحت معيارا للحكم على جودة النصوص الأدبية ورداءتها فهي دراسة فنية إلى وصول الأدب إلى أفاق بعيدة.

فالنص الأدبي أصبح لا يؤخذ بسهولة يعني مجرد لفظ يوحي بمعنى فقط، بل أضحت الدراسة حوله ترمي إلى أهداف بعيدة المدى عالجها النقد الأدبي و البلاغة يقول الأمدي: "و أنا أجمع لك معاني هذا الباب في كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم بالشعر: زعموا أنّ صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا توجد و لا تستحكم إلا بأربعة أشياء، وهي: جودة الآلة وإصابة الغرض، وصحة التأليف، والانتهاى إلى نهاية الصنعة، من غير نقص منها ولا زيادة".⁽²¹⁾

وربما يقصد بجودة الآلة طريقة وبراعة التعبير الأدبي ونسج الألفاظ والعبارات وانسجام الحروف لخدمة غرض معين و تحقيقه، فالشاعر الحق هو الذي يُصيب هدفه دون جهد كبير ودون اختلاطه مع أغراض أخرى قد تشوش على الغرض المقصود، وصحة التأليف أن يكون خالٍ من الأخطاء النحوية والإملائية لأنها تؤثر على الصورة الأدبية وتُشبهها وكذلك من حيث التقديم والتأخير بين الألفاظ والعبارات ثم يبرز الأمدي بأن هذه خلال الأربع " ليست في الصناعات وحدها، بل هي موجودة في جميع الحيوان والنبات." (22)

ويقول في موضع آخر: " فهذا قول جامع لكل الصناعات والمخلوقات، فإن اتفق الآن لكل صانع بعد هذه الدعائم الأربع أن يحدث في صنعه معنىً لطيفاً مستغرباً كما قلنا في الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك زائد في حسن صنعه وجودتها، وإلا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها." (23)

فالدعائم التي ذكرها سابقاً هي أسس لكل الصناعات، وبعدها تأتي مهارة كل صانع من حيث التفنن في التأليف والجودة في توظيف الألفاظ والمعاني بالنسبة للشعر وإصابة الوصف والغرض، فصناعة الشعر العربي وغيره من الصناعات تتطور وتتقدم بتطور وتقدم الصانع، فالشعر صناعة وتصوير ورموز دالة على معاني يفجرها القارئ الحذق فالكلام انطلاقاً من هذه الصناعة قد ينقسم إلى قسمين: فضائل الكلام، و رذائل الكلام، فنحصل على النوع الأول عندما تكون الصناعة ليست جيدة، ففضائل الكلام خمس " لو نقص منها فضيلة واحدة سقط فضل سائرهما وهي: أن يكون الكلام صدقاً، وأن يوقع موقع الانتفاع به وأن يتكلم به في حينه، وأن يحسن تأليفه وأن يستعمل منه مقدار الحاجة." (24)

نقصد بالصدق أنّ الأديب يجب عليه أن يصور العاطفة الصادقة، أي ينسج العبارات طبقاً لأحاسيسه وعواطفه، لأنّ الشعر مثلاً هو تعبير عن الشعور، فلا ينبغي أن يكون الشعر بعيداً عن الشعور، ولا يمكن أن نحصر تعريف الشعر في التعبير عن الشعور بل هو علم ينقل المعارف بأسلوب رائع ومُشوق يفوق نقله أحياناً بالأسلوب النثري، لذلك نجد بعض النقاد في العصر الحديث لم يعدوا شعر المناسبات شعراً هذا لخلوه من الأحاسيس، ويحيى مفروضاً على الشاعر ونقصد بالنفع للشعر أن ينقل فائدة للمتلقي يستفيد بها في حياته من خلال نقل تجربة قد تكون غائبة عند المتلقي، فحسب الأمدي لا فضل للشعر الذي ليس فيه فائدة، هذه الأخيرة تختلف باختلافات عديدة فالترفيه والترويح عن النفس بالشعر تعتبر فائدة عند الأمدي، ويقصد بالتكلم بالشعر في حينه أن يكتب الشاعر حول واقعه وتجارب أي لا يتصور تجارب قرون مضت عليه.

أما رذائل الكلام فهي: " إن كان صدقاً ولم يوقع موقع الانتفاع به بطلَ فضل الصدق منه، وإن كان صدقاً وأوقع موقع الانتفاع به (ولم يتكلم به في حينه لم يغنه الصدق ولم ينتفع به، وإن كان صدقاً وأوقع موقع الانتفاع به) وتكلم به في حينه ولم يحسن تأليفه لم يستقر في قلب مستمعه." (25) وبدأت فكرة النظم منذ أن أخذ المعتزلة يبحثون في إعجاز القرآن الكريم فقد ذهب بعضهم إلى أنّ القرآن معجز بنظمه العجيب،

كان ابن المقفع قد أشار إلى نظم الكلام وأنّ الناظم كصاحب الفصوص وجد ياقوتا... ومرجانا فنظمه قلاند وسموطاً وأكاليل ووضع كل فص موضعه وجمع إلى كل لون شبهه مما يزيد به ذلك حسنا فسمى بذلك صائغا رقيقا.⁽²⁶⁾

نلاحظ أن فكرة النظم أو الصورة ليست جديدة ومن الأوائل الذين عالجهوا هم المعتزلة وسبب التحفيز في الدراسة، هي بلاغة القرآن الكريم التي عجز عنها بلغاء العرب وغيرهم، فكانت هي الركيزة الأساسية ثم انتقلت إلى دراسة النص الأدبي وكيف يتجسد فيه النظم، لأن الناظم بمثابة الصانع، أي الصناعة تختلف باختلاف الصانع، كذلك نظم النص الأدبي يختلف باختلاف الناظم ومهارته وقوته فهي بمثابة زينة للنص إبداع فيه" وتحدث الجاحظ عن النظم وسمى أحد كتبه (نظم القرآن) وذهب إلى أن كتاب الله معجز بنظمه البديع.... وتطورت الفكرة عند أبي سعيد السيرافي الذي قال: "معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ، وسكناته وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها وبين تأليف الكلام."⁽²⁷⁾

فالجاحظ خص القرآن بكتاب أسماه "نظم القرآن"⁽²⁸⁾ حيث عالج فيه مدى قوة النظم والارتباط بين الألفاظ والانسجام مع دلالتها، هذا دليل أن القرآن الكريم مُعجز بألفاظه ومعانيه، وأنه تعددت عليه الدراسات من عالم بعد آخر، وبقيت فكرة النظم تدرس بمرور الزمن من أمثلة ذلك القاضي عبد الجبار الذي كان "أكثر وضوحا حينما رأى أنّ الفصاحة والبلاغة تقومان على ضم الكلمات وتقارنها."⁽²⁹⁾ أي هذا الضم يخضع لقوانين النحو والبلاغة ولا يكون عشوائيا.

3. معايير النقد في الألفاظ والمعاني:

1.3- الرواية: وهو في دراسته (الأمدي) للأخطاء يعتمد على "تقاليد اللغة والأدب فما خرج عنها يراه خطأ، ومن الواضح أن نقدا كهذا يقوم على المعرفة والرواية."⁽³⁰⁾ فكان ينقد النص الشعري بإسقاطه على عادة وتقاليد العرب في اللغة والأدب، وكأنه لا يدعو للخروج عن الأصالة، وعدّ هذا الخروج من الأخطاء التي تحسب على الشاعر، فيقول مثلاً: "ومن خطئه في وصف "الربع وساكنه" قوله:

"قَدْ كُنْتَ مَعْهُودًا بِأَحْسَنِ سَاكِنٍ ثَاوٍ وَأَحْسَنَ دِمْنَةٍ وَرُسُومٍ.

يشرح هذا الخطأ فيقول والربع لا يكون رسماً إلا إذا فارقه ساكنوه لأنّ الرسم يكون دارساً وغير دارس، فهذا إذن خطأ في استعمال اللفظ."⁽³¹⁾ فالرسم هو الأثر الباقي بعد سكانه.

2.3- الفطنة النفسية:

تؤثر الحالة النفسية على إبداع الشاعر وهي "حالة تكامل طاقات الفرد المختلفة بما يؤدي على حسن استثمارها ومما يؤدي إلى تحقيق وجود الفرد."⁽³²⁾ وتظهر في كتاباته حيث يرى الناقد خطأ الشاعر في المعاني وهنا "لا يعتمد على ما يرويه فحسب، بل يعود إلا نفسه يستجلي حقائقها فيتخذها سبيلا للحكم على إصابة الشاعر، أو عدم إصابته فيما يذكر من حقائق نفسية وهنا يظهر الأمدي فطنة صادقة ومعرفة بالنفوس

المقال: الموازنات الشعرية في النقد اللغوي

المؤلف : عبد الكريم محمودي

«(33)، فالناقد هنا يعرض الشعر على نفسيته ويتخذها معيارا للحكم على إصابة الغرض المقصود، لأنه هناك علاقة وطيدة بين علم النفس والنقد الأدبي أي أن الناقد يتأثر نفسيا ويتذوق الإبداع الأدبي قبل ما يصدر الأحكام فلا يمكن أن نفصل بينهما، والآمدي يمتلك فطنة نفسية تجعله يكشف أسرار وخبايا الأدب. ويعطي مثالا على ذلك بأبي تمام:

" دَعَا شَوْفُهُ يَا نَاصِرَ الشَّوْقِ دَعْوَةً فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِي وَوَابِلُهُ

ويشرح الخطأ فيقول : أراد أنَّ الشوق دعا ناصرا ينصره فلباه الدمع بمعنى أنه يخفف لاجع (اشتداد) الشوق ويطفي حرارته، وهذا إنما هو نصرة للمشتاق على الشوق والدمع إنما هو حرب للشوق لأنه يثلمه ويتخونه ويكسر من حده. «(34)

3.3- الخبرة بالأشياء:

نعني بها أنَّ الآمدي له ثقافة واسعة في مختلف المجالات حتى الحيوانات، فكان ينقد الشعر من هذا الجانب أيضا ويحاسب الشاعر عن الألفاظ التي يوظفها عندما تكون خاطئة ومثال على ذلك قول أبي تمام:

وَكَتَسَتْ ضَمْرُ الْجِيَادِ الْمَذَاكِي مِنْ لِبَاسِ الْهَيْجَا دَمًّا وَحَمِيمًا

فِي مَكْرَ تَلُوكُهَا الْحَرْبُ فِيهِ وَهِيَ مُقْوَرَّةٌ تَلُوكُ الشَّكِيمَا

فيقول الآمدي: "فهذا معنى قبيح جدا" (35)، ويعلق عليه محمد مندور بقوله: "إذ جعل الحرب تلوك الخيل من أجل قوله تلوك الشكيما، وتلوك الشكيما أيضا هنا خطأ، لأنَّ الخيل لا تلوك الشكيما في المكر وحومة الحرب، وإنما تفعل ذلك واقفة لا مكر لها، فإن قيل إنما أراد أنَّ الحرب تلوكها كما تلوك الشكيما، قيل هذا تشبيه وليس في لفظ البيت عليه دليل وألفاظ التشبيه وإنما طرح أبا تمام في هذا قلة خبرة بأمر الخيل. «(36) ومن الأمثلة على وحشي الألفاظ في شعر أبي تمام: الألفاظ الوحشية في الشعر العربي نقصد بها أن تكون خالية من المعاضلة والتداخل بين الألفاظ في البيت الواحد، وينتج عن هذا تنافر بينهما تُشوش على المتلقي فهي وحشية بالنسبة لهذا الأخير وغير متداولة ويرى الآمدي أنَّ هذا النوع من الألفاظ كثيرة في شعر أبي تمام مثل قوله :

خَانَ الصَّفَاءُ أَخْ خَانَ الزَّمَانُ أَخَا عَنْهُ فَلَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ الْكَمَدُ (37)

فيعلق على هذا البيت ويشرح مواطن الوحشية فيه ويبين أن "أكثر ألفاظ هذا البيت، وهي سبع كلمات آخرها قوله "عنه" ما أشد تشبث بعضها ببعض، وما أقبح ما اعتمده من إدخال ألفاظ في البيت من أجل ما يشبهها، وهو (خان)، و(خان)، و(يتخون) وقوله: (أخ) و(أخا)، فإذا تأملت المعنى مع ما أفسده من اللفظ لم تجد له حلاوة، ولا فيه كبير فائدة، لأنه يريد :خان الصفاء أخَّ خان الزمان أخا من أجله إذا لم يتخون جسمه الكمد. «(38) فنلاحظ أنَّ الآمدي شرَّح هذا البيت لفظيا وبين فيه ما أدخل ببلاغة هذا البيت من الوحشية، والمعاضلة، لأنه في نظره عيب من عيوب الشعر.

ومن أمثلة أخطاء البحري في المعنى التي ذكرها الأمدي في الموازنة ما يلي:

قال البحري:

" ذَنْبٌ كَمَا سَحَبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ، وَ عُرْفٌ كَالْقِنَاعِ الْمُسْبَلِ

يقول الأمدي: هذا خطأ في الوصف، لأن ذنب الفرس، إذا مسّ الأرض كان عيباً فكيف إذا سحبه، وإنما الممدوح من الأذناب ما قُرب من الأرض ولم يمسه، كما قال امرئ القيس:

بِضَافٍ فُوقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَّلٍ ضَلِيعٌ إِذَا اسْتَدْبَرْتُهُ سَدَ فَرْجُهُ

فقال (فويق الأرض) أي فوق الأرض بقليل.⁽³⁹⁾ وفي هذا البيت امرئ القيس يصف فيه فرسا.

وخلصت موازنة الأمدي إلى بعض الاستنتاجات وفصلت بين أبي تمام و البحري وما إلى هذا الأخير من فضل، لأنه سار على منوال القدماء في قول الشعر العربي بعيداً عن التجديد، يبقى أي شعر من الأشعار العربية يخضع للنقد وتُستخرج منها الأخطاء والمحسنات والمساوئ وهذه مهمة النقد الأدبي.

وتظهر مسألة ارتباط اللفظ مع المعنى عند الأمدي في السبك الجيد الذي يعطي وجوداً للألفاظ والمعاني، فهو يبين أن سوء التأليف، وتوظيف الألفاظ الرديئة تفسد المعنى ويضرب أمثلة على هذا الشعر ببعض أشعار أبي تمام، في حين أن حسن التأليف وبهاء العبارة موجودة في شعر البحري ولذلك نجده يتتبع أخطاء أبي تمام والبحري في اللفظ والمعنى في كتابه الموازنة.

الإحالات و الهوامش:

- (1) عراسي فيلاي . مسارات النقد العربي القديم . عرض لمراحل تطور النقد العربي وأبرز قضاياها . منشورات فاصلة . 2013 . ط 1 . قسنطينة . الجزائر . ص 149.
- (2) نفسه . ص 149.
- (3) عراسي فيلاي . مسارات النقد العربي القديم . ص 150.
- (4) مصطفى عبد الرحمان إبراهيم . في النقد الأدبي القديم عند العرب . مكة للطباعة . 1998 . كلية الدراسة الإسلامية . و العربية للبنين بالقاهرة . ص 146.
- (5) نفسه . ص 147.
- (6) جان عبد الله توما . تحقيق المخطوطات العربية . المؤسسة الحديثة للكتاب . لبنان . ط 1 . 2011 . ص 28.
- (7) مصطفى عبد الرحمان إبراهيم . في النقد الأدبي القديم عند العرب . ص 147.
- (8) نفسه . ص 147.
- (9) نفسه . ص 148 . 149.
- (10) نقلاً عن: محمد مرتاض . النقد الأدبي القديم في المغرب العربي . نشأته وتطوره حتى القرن السادس الهجري مقارنة تاريخية فنية . دار هومة . الجزائر . ص 137.
- (11) مصطفى عبد الرحمان إبراهيم . في النقد الأدبي القديم عند العرب . ص 149.
- (12) الأمدي . الموازنة بين أبي تمام و البحري . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . ص 380.
- (13) الأمدي . الموازنة بين أبي تمام و البحري . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . ص 181 و 182.
- (14) أحمد الهاشي . جواهر البلاغة في المعاني والبيان و البديع . تحقيق حسن حمد . دار الجيل . بيروت . لبنان . ص 22.

- (15) عراس فيلاي : مسارات النقد العربي القديم - ص 159.
- (16) مصطفى عبد الرحمان إبراهيم - في النقد الأدبي القديم عند العرب - ص 151 و 152.
- (17) الأمدي - الموازنة - ص 11.
- (18) عراس فيلاي - مسارات النقد العربي القديم - ص 163.
- (19) الأمدي - الموازنة - ص 11.
- (20) مصطفى عبد الرحمان إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص 155.
- (21) الأمدي - الموازنة ، ص 382.
- (22) نفسه ، ص 382.
- (23) نفسه ، ص 383.
- (24) الأمدي ، الموازنة، ص 383.
- (25) نفسه، ص 383.
- (26) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ج 3، 1987، ص 331.
- (27) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 331.
- (28) درس الجاحظ نظم القرآن وله كتاب (نظم القرآن) وهو مفقود. ينظر: مريم محمد المجمعي، نظرية الشعر عند الجاحظ، ص 131.
- (29) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 331.
- (30) محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب، منهج البحث في الأدب و اللغة، نهضة مصر، 1996، مصر، القاهرة ص 124.
- (31) نفسه، ص 125.
- (32) علا عبد الباقي إبراهيم، الصحة النفسية وتنمية الإنسان، دار المنهل ، بيروت، لبنان، دط، دت. ص 18.
- (33) محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب، منهج البحث في الأدب و اللغة، نهضة مصر، 1996، مصر، القاهرة ، ص 125.
- (34) نفسه ، ص 126.
- (35) الأمدي، الموازنة ، ص 87 و 88.
- (36) محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب، منهج البحث في الأدب و اللغة. ص 126.
- (37) الأمدي ، الموازنة ، ص 259.
- (38) نفسه ، ص 260.
- (39) الأمدي ، الموازنة ، ص 339.